

أيعاقب الله؟

الأب أندرياس أغاثوكلايوس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

يبدو أن فكرة أن الله يعاقب الذين يخطئون، على غرار الأب الصارم الذي يعاقب أولاده الأشقياء، هي فكرة يصعب إبعادها من قلوب الناس. إلى هذا، تتحدث الكنيسة بالفعل عن العقاب، وتحثنا "النار البرزانية" وعدد من الآباء على أن لا ننسى الجحيم، حتى نكون أقل عرضة للشر.

على الرغم من أن هذا صحيح، لكنه ليس الحقيقة الكاملة. فكما أننا لا نقدّم صورة كاملة لشخص ما إذا ركّزنا كثيرًا على جانب واحد من شخصيته، فإن الشيء نفسه ينطبق على الله. إذا أصررنا، سواء على المستوى الجماعي أو الشخصي، على نوع من السلوك التربوي من جانب الله، فهذا لا يأخذ في الحسبان ما هو عليه حقًا: المحبة اللامحدودة.

في العهد القديم، يستعلن الله كإله يريد احترام شريعته، ولكن أيضًا كإله محبة أبوية، يغفر نقاط ضعف شعبه ويفهمها. في الواقع، محبته هي السمة الأساسية في سلوكه، لأنه يعبر عن حقيقته. بدافع من هذه المحبة، سمح لشعبه أن يجدوا أنفسهم في المحن والصعوبات، حتى يعودوا إلى الطريق الذي رسمه لهم والذي، في أعماقهم، يريدونه حقًا.

بغض النظر عن مقدار حديثكم عن محبة الله، فإنه يظل نظريًا بحثًا ما لم تكونوا قد عشت هذه المحبة في وقت ما، من خلال تجربة معينة. لا كمعونة غير متوقعة في لحظة صعبة، بل كاحتضان يلف النفس في زمن البرودة والتخلي والعزلة. لأنه إن شعر كل واحد منكم أنه في الجحيم، فستعرفون جميعًا معنى أن يمسك المسيح بكم ويرفعكم إلى النور. من ثم تحصلون على محبته الكاملة والصادقة التي لا تعتمد على ما أنتم عليه وما فعلتموه بل على من هو: "الله محبة".

لهذا السبب لا وجود لأي أثر للانتقام أو العاطفة البشرية في إلهنا الذي بلا أهواء. كل الإشارات إلى أوجه تشابه مع السلوك البشري، بمصطلحات تجسيمية، هي ليتمكن الضعفاء من فهمها فيمتنعون عن الانحدار إلى حياة بدون المسيح.

يستخدم الشرير نقيضين ليحرفنا عن الطريق نحو الله: فهو يقدم الله على أنه لا يرحم وقاسٍ ومتطلب تجاهنا، ومن ناحية أخرى، يصوره على أنه صفوح ومتسامح وإلى حد كبير غير مبالٍ بتقدمنا الصحي. في الحالة الأولى يقول: "خافوا منه" وفي الحالة الأخرى يقول: "لا تعيروه انتباهكم".

إن التجارب والضيقات التي نمر بها هي بالتأكيد ليست من عند الله. إن "العقوبات" التي تتبع من حياتنا المسرفة والخاطئة هي نتيجة اختيارات جماعية أو شخصية. ومع ذلك، فإن محبته تحوّلها إلى أدوات للتواضع والتوبة وإعادة تقييم مجرى حياتنا؛ شرط أن يكون هذا ما نريده بشكل أكيد. من خلال الإرشاد الأرثوذكسي، ولا سيما عبر تجارب الحياة اليومية، يمكننا إعادة النظر في الفكرة القائلة بأن الله يعاقب، فنكون قادرين على التمتع بحضوره ومحبته وجماله والتواصل معه.

Source: π. Ανδρέα Αγαθοκλέους, Τιμωρεί ο Θεός; Ησυχαστήριο της Αγίας Τριάδος Λυθροδόνας.
<http://www.isagiastriados.com/index.php/articles/6208-timorei-o-theos>